# الباب التاسع والخمسون: في أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم[1] وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من أكاذيبهم

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلاً وقد دلّ على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**ما جعلَ الله من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ ولكن الذين كفروا يفترُونَ على الله الكذبَ وأكثرُهُم لا يعقلُونَ**﴾[2]. قال أهل اللغة: البحيرة ناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن، وكان الأخير ذكراً بحروا أذنها، أي شقو أذنها، وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى. وكان الرجل إذا أعتق عبداً، قال: هو سائبة، فلا عَقْلَ بينهم ولا ميراث، وأما الوصيلة ففي الغنم، كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم. وأما الحام فالذكر من الأبل. كانت العرب إذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: حمي ظهره فلا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء ولا مرعى. وقال تعالى: ﴿**إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عَمَلِ الشيطانِ فاجتَنِبُوهُ لعلَّكم تُفلِحُونَ**﴾[3] فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمراً، والميسر القمار، والأنصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهي الأوثان وأحدها نصب، والأزلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها «أمرني ربي»، وعلى بعضها «نهاني ربي»، فإذا أراد الرجل سفراً أو أمراً يهتّم به ضرب بتلك القداح فإذا خرج الأمر مضى لحاجته، وإذا خرج النهي لم يمض.

ومن **أوابدهم** وأد البنات أي دفنهن أحياء. كانوا في الجاهلية إذا رزق أحدهم أنثى وأدها، وإذا بشّر بها ضاق صدره، وكظم غيظه، وأسودّ وجهه، وهو قوله تعالى: ﴿**وإذا بُشِّرَ أحدُهُمْ بالأنثى ظلَّ وجهه مُسْوَدّاً وهو كظيم**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاقٍ نحنُ نرزقُهُم وإيَّاكم**﴾[5] وقد قيل إنهم كانوا يقتلونهن خوف العار، وبمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات. وقيل إن صعصعة جد الفرزدق كان يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل. وفاخر الفرزدق رجلاً عند بعض خلفاء بني أمية فقال: أنا ابن محيي الموتى. فأنكر الرجل ذلك. فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿**ومَنْ أحياها فكأنما أحيَا الناسَ جميعاً**﴾[6].

وأما **الرفادة** في الحجّ فكانت خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم إلى قصيّ، فيصنع به طعاماً للحاج فيأكله مَنْ لم يكن له سعة ولا زاد. وذلك أن قصيّاً فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به: يا معشر قريش إنكم

---

(١) الآبدة: باقية الدهر.
(٢) سورة: المائدة، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة: المائدة، الآية: ٩٠.
(٤) سورة: النحل، الآية: ٥٨.
(٥) سورة: الإسراء، الآية: ٣١.
(٦) سورة: المائدة، الآية: ٣٢.

جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرام وإن الحجاج ضيوف الله، وزوار بيته، وهم أحق ضيفٍ بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا[١] عنكم. ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه إليهم. وقيل: أول من أقام الرفادة عبد المطلب، وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي، وسبعة أسياف، وخمسة دروع سوابغ[٢]، فضرب من الأسياف بباب الكعبة، وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب، وجعل الآخر في الكعبة.

واعلم وفقني الله وإياك أنه لم يسمع، بعُجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمي، وابن سماك الأسدي الذين ضرب بهم المثل. أمّا سعيد بن زرارة فقيل إنه مرَّت به امرأة، فقالت له: يا عبد الله كيف الطريق إلى مكان كذا؟ فقال لها: يا هنتاه،[٣] مثلي يكون من عبيد الله. وأما عبد الله بن زياد التميمي فقيل إنه خطب بالناس بالبصرة فأحسن وأوجز فنودي من نواحي المسجد: كثر الله فينا مثلك. فقال: لقد كلفتم الله شططاً، وأما ابن سماك فأنه أضل راحلته فالتمسها فلم توجد. فقال: والله لئن لم يرد راحلتي علي لا صليت له أبداً، فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر. فقيل له: قد رد الله عليك راحلتك فصلِّ. فقال: إنما كانت يميني يميناً قصداً. فانظر رحمك الله إلى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى أفضى بهم إلى الكفر وصاروا حديثاً مستبشعاً ومثلاً بين العالمين مستشنعاً نعوذ بالله من الخذلان المؤدي إلى النيران ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حكي عن الحجاج بن يوسف الثقفي أنه قيل له: كيف وجدت منزلك بالعراق؟ قال: خير منزل، إن الله أظفرني بأناس بلغني الأمل فيهم، وأعانني على الإنتقام منهم، فكنت أتقرب إليه بدمائهم. فقيل له: مَنْ هم؟ فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم، ولا محالة أنها من محاسن الحجاج، وإن قَلَّتْ في جنب سيئاته والله تعالى أعلم.

**ذكر أديان العرب الجاهلية**: كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة. وكانت اليهودية في نمير، وبني كنانة، وبني الحرث بن كعب، وكندة. وكانت المجوسية في بني تميم منهم زرارة بن عدي، وابنه علي، وكان تزوج ابنته ثم ندم، ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسياً. وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الجزيرة. وكانت بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنماً من حيْسٍ[٤] فعبدوه دهراً ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه. وقد قيل إن أول مَنْ غير الحنيفية عمرو بن لحي أبو خزاعة، وهو أنه رحل إلى الشام فرأى العماليق يعبدون الأصنام فأعجبه ذلك. فقال: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها. قالوا: هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال: أعطوني منها صنماً أسير به إلى أرض العرب فيعبدونه. فأعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

وقيل: إن أول ما كانت **عبادة الأحجار** في بني إسماعيل، وسبب ذلك أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حتى ضاقت عليهم، وتفرقوا في البلاد؛ وما من أحد إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، وأفضى ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة، ثم خلفت الخلوف،

---

(١) يصدروا: يصدِّروكم.
(٢) سوابغ: طويلة.
(٣) يا هنتاه: يا مصيبتي.
(٤) صنماً من حيس: خليط من تمر ودقيق وغيره.

ونسوا ما كانوا عليه من دين إسماعيل فعبدوا **الأوثان**، وصاروا إل ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلال.

وكانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر في جوف الكعبة، يقال له: هبل. وأيضاً اتخذوا **إساف ونائلة** على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون. وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين. واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد الرجل سفراً تمسح به حين يركب، وكان ذلك آخر م يصنع إذا توجه إلى سفره. وإذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل إلى أهله، واتخذت العرب الأصنام وانهمكوا على عبادتها، وكانت لقريش وبني كنانة، **العزّى** وكان حجابها بني شيبة، وكانت **اللات**، لثقيف بالطائف، وكان حجابه بني مغيث من ثقيف، وكانت **مناة** للأوس والخزرج ومن دان بدينهم. وأما **يغوث ويعوق ونسر** فقيل: إنهم كانوا أسما أولاد آدم عليه الصلاة والسلام، وكانوا أتقياء عباداً، فمات أحدهم فحزنوا عليه حزناً شديداً، فجاءهم الشيطان وحسّن لهم أن يصوّروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه إذا نظروا فكرهوا ذلك. فقال: اجعلوه في مؤخر المسجد، ففعلو وصوّروه من صفر[1] ورصاص، ثم مات آخر ففعلوا ذلك إلى أن ماتوا كلهم فصوّروهم هناك وأقام من بعدهم على ذلك إلى أن تركوا الدين، وحسّن لهم الشيطان عبادة شيء غير الله، فقالوا له: مَنْ نعبد؟ قال: آلهتكم المصوّرة في مصلاكم، فعبدوها إلى أن بعث الله نوحاً عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن عبادتها. فقالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿**لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم ولا تذرُنّ وَدّاً ولا سواعاً**﴾[2] الآية.

ولما عمَّ الطوفانُ الأرضَ طمَّها وعلا عليها التراب زماناً طويلاً فأخرجها الشيطان لمشركي العرب فعبدوها. وذكر الواحدي في الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام، فسوّل الشيطا لقومهم بعد موتهم أن يصوّروا صورهم ليكون أنشط لهم، وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا، ثم نشأ بعدهم قو جهال بالأحوال فحسن لهم عبادتها، وأن من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها بأسمائهم، وقال الواقدي: كان و على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صور نسر، والله تعالى أعلم أيّ ذلك كان.

## ذكر أوابدهم

**الرتم**: شجر معروف كانت العرب إذا خرج أحدهم إلى سفر عمد إلى شجرة منه فيعقد غصناً منها، فإذا عاد من سفره ووجده قد انحلّ قال قد خانتني امرأتي، وإن وجده على حالته قال لم تخني.

**الرتيمة**: ناقة كانت العرب إذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدّوا عينيها حتى تموت، يزعمون أنه إذ بعث من قبره ركبها.

**التعمية والتفقئة**: كان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً قلع عين الفحل يقولون: إن ذلك يدفع عنها العين، فإذا زادت عن الألف فقأ عينه الأخرى.

**العرّ**: داء يصيب الإبل، شبه الجرب كانوا يكوون السليمة، ويزعمون أن ذلك يبرىء داء العرّ.

---

(١) صفر: نحاس.

(٢) سورة: نوح، الآية: ٢٣.

**ضرب الثور عن البقر**: كانت البقر إذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور، يزعمون أن الجنّ يركبون الثيران فيصدّون البقر عن الشرب.

**الهامة**: كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني إلى أن يؤخذ بثأره. وكان للعرب مذاهب في الجاهلية في النفس، وتنازع في كيفياتها فمنهم مَنْ زعم أن النفس هي الدم، وأن الروح الهواء الذي في باطن جسم الإنسان الذي منه نفسه وقالوا: إنّ الميت لا يوجد فيه الدم وإنما يوجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة، لأنّ كل حي فيه حرارة ورطوبة، فإذا مات ذهبت حرارته، وحلّ به اليبس والبرودة. وطائفة منهم يزعمون أن النفس طائر ينشط من جسم الإنسان إذا مات أو قتل، ولا يزال متصوّراً في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشاً له، وفي ذلك يقول بعضهم:

سُلِطَ الموتُ والمنونُ عليهِمْ ... فلهم في صَدَى المقابرِ هامُ

ثم جاء الإسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام». وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيراً ويكبر حتى يصير كضرب من البوم، ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى، ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت.

**والصفر**: زعموا أن الإنسان إذا جاع عضّ على شرسوفه[1] الصفر، وهي حية تكون في البطن.

**تثنية الضربة**: زعموا أن الحية تموت في أوّل ضربة فإذا ثنيت عاشت.

**الغيلان والتغوّل**: للعرب في الغيلان والتغوّل أخبار وأقاويل، يزعمون أن الغول يتغوّل لهم في الخلوات في أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم، وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان مشؤوم وأنه خرج منفرداً لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الإنسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار في أوقات الخلوات وفي الليل.

وحكي أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رآه في سفره إلى الشام فضربه بالسيف. وقال الجاحظ: الغول كلّ شيء يتعرّض للسيارة ويتلوّن في ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف. وقالوا: إنه ذكر وأنثى إلا أن أكثر كلامهم أنه أنثى. وأما **القطرب** في قولهم فهو نوع من الأشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن، وصعيد مصر في أعاليه، وربما إنه يلحق الإنسان فينكحه فيدوّد دبره فيموت، وربما نزا على الإنسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحي التي ذكرناها: أمنكوح هو أو مذعور؟ فإن كان قد نكحه أيسوا منه، وإن كان قد ذعر سكن روعه، وشجع قلبه، وإذا رآه الإنسان وقع مغشياً عليه، ومنهم مَنْ يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه.

## ذكر الهواتف

أما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب، وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول الله ﷺ وأن من حكم الهواتف أن يهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي. ومن عجيب ما حكي من أمر الهواتف ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال:

---

(١) شرسوفه: طرف الضلع جهة البطن.

خرجنا حجاجاً فصاحبنا رجل وجعل يقول في طريقه: ليت شعري هل بغت عليّ؟ فلما انصرفنا من مكة قالها في بعض الطريق فأجابه صوت في الظلام:

نعـــم نعـــم ونـــاكهـــاً حجيَّـــهْ وهو رجل أحمر ضخم في قفاه[1] كيَّهْ

فسكت الرجل. فلما سرنا إلى البصرة، أخبرنا ذلك الرجل قال: دخل جيراني يسلمون علي فإذا فيهم رجل أحمر ضخم في قفاه كية فقلت لأهلي: مَنْ هذا؟ قالت: رجل كان ألطف جيراننا بنا فجزاه الله خيراً، فسألتها عن اسمه فقالت: حجية. فقلت: إلحقي بأهلك.

وأما **بكاء المقتول** فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثأره فإذا أخذ بثأره بكينه.

وأما **رمي السنّ** فكانوا يزعمون أن الغلام إذا أثغر فرمى سنه في عين الشمس بسبابته وإبهامه وقال: أبدليني بأحسن منها فإنه يأمن على أسنانه العوج والفلج.

وأما **خضاب النحر**، فكانوا إذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة.

وأما **نصب الراية** فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها.

وأما **جزّ النواصي**، فكانوا إذا أسروا رجلاً ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته.[2]

وأما **الالتفات**، فكانوا يزعمون أن من خرج في سفر والتفت وراءه لم يتمّ سفره، فإن التفت تطيروا له، وكانوا يقولون: من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين ولا سحر، وذلك أن الجنّ تهرب من الأرنب لأنها تحيض، وليست من مطايا الجن. **ويزعمون** أن المرأة إذا أحبت رجلاً وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما. **ويزعمون** أن الرجل إذا قدم قرية فخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها. **ويزعمون** أن الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل في فروج الأبكار فتفتضهن. **ويزعمون** أن الرجل إذا ضل فقلب ثيابه اهتدى. وكانوا **يزعمون** أن الناقة إذا نفرت[3] وذكر اسم أمها فإنها تسكن. وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق إذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر، وتسمى السلوان. **ونكاح المقت** من سنتهم وهو أن الرجل إذا مات قام ولده الأكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فإن لم يكن له بها حاجة زوّجها لبعض إخوته بمهر جديد، فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال.

ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) قفاه كيَّه: طرف عنقه الخلفي.
(٢) ناصيته: مقدمة شعر الرأس.
(٣) نفرت: شمت.